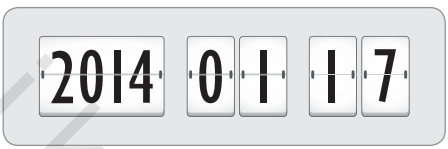

لم يكن أي شيء أكثر أهمية بالنسبة إلي من أن تعيش تشلسي حياة طبيعية قدر الإمكان في البيت الأبيض، في ليتل روك كانت قد تابعت التعليم في إحدى المدارس العامة، وقادرة على فعل الأشياء كلها التي يفعلها الصغار الآخرون، غير أن ذلك لم يكن– على ما بدا– ممكنًا بالنسبة إلى ابنة رئيس للجمهورية؛ لم تكن تشلسي مبتهجة إزاء بقائها مطوقة ومظللة بحشد من عناصر الجهاز السري على امتداد أربع وعشرين ساعة في اليوم.

حتى قطتها (سوكس) كان لابد من اقتيادها برسن عند الخروج، حاولت أن أمكن تشلسي من التوفيق الصعب بين الانخراط في الفعاليات الطبيعية والنأي بالنفس عن خطر الحالات الذهنية المحتملة (العقد النفسية المحتملة).

من الذي يمكنني أن أستشيره؟ فكرت. من يمكن أن يعرف؟ ثم تذكرت جاكي كندي أوناسيس، كنت شديدة الإعجاب بالأسلوب الذي اعتمدته في تربية أولادها في البيت الأبيض، فقررت التماس النصيحة منها.

جاكي وأنا كنا متشابهتين من نواحٍ كثيرة؛ كلتانا امرأتان متحفظتان، مع روح دعابة لا تعرف معنى الخجل في العمق، كانت جاكي سريعة البديهة والفطنة،

وعُرفت أنا لدى صديقاتي بأني مقلِّدة خطيرة، كلتانا كنا مغرمتين بتقديس أصحاب الذكاء والفطنة من الرجال، وما ليس غريبًا عن صداقتنا المتنامية أن كلًّا منا كانت قد اقترنت وهي على علم بزير نساء، ما لبث أن أصبح رئيسًا للجمهورية.

ما إن رفعت هي نفسها السماعة حين اتصلت، حتى أصرت على دعوتي إلى تناول وجبة الغداء معها في شقتها الأنيقة الواقعة في الشارع الخامس (الفيفث آفنيو)، فأوصلني الجهاز السري إلى بيتها، حيث استقبلتني جاكي عند مدخل الطبقة الخامسة عشرة للمصعد، وجدتها أطول، ناحلة أكثر، وأجمل من صورها، وكما على الدوام كانت بالغة التأنق في الملبس، بسروالها الحريري الرمادي الفاتح وقميصها المناسب طرازًا ولونًا، لم تكن أقل إشراقًا وهي في الثالثة والستين من العمر منها حين كانت سيدتنا الأولى.

سرني أن أجد بيتها دافئًا ومريحًا، زاخرًا بالكتب، وبالرسوم، والأعمال الفنية، بدلًا من مكان صمم لاستعراض صرعات ديكور المجتمع الأخيرة، مباشرة سحرني حضورها. فكرت بلهفة: إنها ملكة أمريكا حقًّا، وأنا مجرد فتاة صغيرة من إيلينوي عبر نيوهافن وليتل روك، كيف أستطيع أن أحذو حذوها في أي من الأوقات؟!

غير أنه سرعان ما جعلها حدسها الممتاز تحس بهواجسي، فبادرت فورًا إلى طمأنتي، بدت كما لو كانت عارفة سلفًا الأمر الذي جئت لأبحثه معها، فبدأت تتكلم عن سنواتها وهي سيدة أولى، حين وجدت نفسها مشوشة ووظيفتها غير محددة، أذكر أنها قالت: «لايوجد أي كتاب قواعد يمكن أن يتعلم منه المرء فن الاضطلاع بدور سيدة أولى، يتعين على المرء اجتراح القواعد ذاتيًّا، ليس الأمر سهلًا، وإذا كنت دون الخامسة والعشرين فأنت من جيل إكس المفتقر إلى الكفاءة؛ وإذا كنت فوق الأربعين فأنت من كثيرات الأولاد الأنانيات؛ وإذا كنت ليبرالية، فأنت صاحبة قلب نازف؛ وإذا كنت محافظة، فأنت بلا قلب كليًّا».

أضفت «نعم، وإذا كنت رئيس جمهورية ديمقراطي من آركنسو، فأنت كل أولئك بالتناوب، تبعًا لليوم الذي أنت فيه». ضحكت جاكي وأكدت لي أنها فهمت ما قصدتُه.

صقلها القائم على سعة المعرفة للبيت الأبيض ساعد على تمكينها من تحديد دورها لنفسها كما للرئاسة الكندية، وأسهم كثيرًا في شيوع أسطورة كاميلوت (Camelot). تساءلت عن الأسلوب الذي من شأني أن أعتمده لتحديد دوري بوصفي سيدة أولى لنفسي، راودني كثير من الشك حول مدى قدرتي على الارتقاء إلى مستوى الدور اللامع، بالغ الأصالة الذي اجترحته جاكي لنفسها بوصفها سيدة أولى.

تناولنا الغداء حول مائدة في زاوية غرفة معيشتها المطلة على الأشجار الفخمة للحديقة المركزية (السنترال بارك) ومتحف المتروبوليتان للفنون، وناقشنا أسلوب تحصين تشلسي ضد وسائل الإعلام، وإلا فإن الأخيرة ستدمن مطاردتها. أخبرتني جاكي بما كانت قد فعلته لحماية كارولاين وجون، وقالت إن على موضوع توفير حياة طبيعية لتشلسي أن يشكل أولى أولوياتي، نبهتني إلى أن علينا أن نمكن تشلسي من النمو بل وحتى من ارتكاب الأخطاء، مع الاستمرار الوقت كله في تحصينها ضد الحضور الدائم للمراسلين، أفادت جاكي بأن ولديها كانا محظوظين بكونهما محاطين بعدد من أبناء وبنات العمومة وأولاد الأصدقاء والصديقات، ومن شأن الأمر أن يكون أصعب بالنسبة إلى تشلسي؛ لأنها وحيدة العائلة.

قالت لابد لي من حمايتها وإبقائها محاطة بالعائلة والأصدقاء والصديقات، غير أن إغراقها بالدلال لم يكن أسلوبًا ناجحًا، تعين علي أن أبتسم عند سماع ذلك التعليق، لم يكن حصول تشلسي على كثير من الدلال احتمالاً واردًا وأنا ابنة أبي، ربما يجب أن أدعو جاكي إلى الكلام مع بل، خطر لي. حذرتني من

النساء اللواتي سيحاولن نسج صداقات لأولادهن مع تشلسي للوصول إلى بؤرة الضوء.

عبرتُ لجاكي عن عميق امتناني على إيجاد فسحة عشاء في الطبقة العليا من البيت الأبيض، وأخبرتها باعتزازنا قلب حجرة الساقي إلى مطبخ صغير نستطيع الاسترخاء فيه على نحو أقل رسمية من غرفة الطعام الرئاسية. وافقت بكل صدق. حدثتها عن مدى صعوبة صون حياة طبيعية لطفلة في حوض سمك، وبلباقة قالت جاكي إنها كانت قد سمعت عن مدى نجاح تشلسي في التكيف، وإن علي أنا أن أستمر في ما كنت دائبة على فعله، فشعرت بدفقة دفء إزاء صديقتي الجديدة، وعند المغادرة تبادلنا عناقًا وديًّا طويلًا، وبقينا على اتصال هاتفي لأعوام لاحقة؛ ظلت منبع عون وإلهام بالنسبة إلي حتى رحلت.

obeikandl.com